ما تحفظه الذاكرة عن نجيب المانع

ياسين طه حافظ

المانع

سمعت اول مرة باسم الاستاذ نجيب المانع عبر حديث بين طلبة معنيين في الأدب بينهم الكاتبة المحترمة سميرة المانع والشاعر الكبير صلاح نيازي. كان ذلك حين كنا في دار المعلمين العالية، هما في السنة الرابعة لغة عربية وانا في الثالثة لغة انكليزية، بعد ذلك صرت اقرأ مقالات لنجيب. في منتصف ١٩٧٨-١٩٧٩ توليت العمل في مجلة الثقافة الاجنبية وبدأنا الإعداد لإصدارها. وكان من بين هيئتها الاستشارية الاستاذ نجيب المانع . في ١٩٧٩ كنت في لندن وهي السنة التي حط فيها المانع هناك، كما اتذكر.

كان رجلاً ممتلئاً ولم يكن رجلاً سهلاً. كان هذا الرجل المتلئ ثقافة، قليل الزيارات الى دار الشؤون الثقافية، كما لبقية دوائر ومؤسسات الدولة حتى مغادرته العراق. وما نشره في المجلة وما نشرته له الدار، كان بطلب وتكليف منا، وكان يلبي ما يرتضيه، مخلصا لنفسه و لثقافته، فحين اتيت بمجموعة من سلسلة Twentieth Centaury Views كل كتاب منها هو مجموعة مقالات عن شاعر او كاتب، تولى الاستاذ جبرا ترجمة ديلان توماس ود. عناد غزوان والاستاذ جعفر صادق الخليلي لوركا ود. عبد الواحد لؤلؤة وليم بليك واختار الاستاذ نجيب المانع ، من القائمة، تولستوي، اقول اختاره هو لأن لهذا الاختيار معنى! ولا ادري ان كان ترجم الكتاب ام شغل عنه فنشر الكتب صار من مهام دار الرشيد.

المهم ان آخر مقالة نشرها في المجلة هي ترجمته لـ "الجرح والقوس" لأدموند ويلسون في العدد الثاني لسنة ١٩٨١ وانقطعت اخبار نجيب! نجيب رجل عف ويتمتع بنوع من الإباء الراسخ، إباء المثقفين الذين يرون انفسهم اكبر من التعالي، ايضا من طلب الوصول والبحث عن رضا انطباعي عنه: كان رجلا واسع الثقافة، غير راض لا عن الواقع الثقافي ولا عن المجتمع، سخط مكبوت يحكمه أدب جم!

هذا الجانب الشخصي، رأيته ضرورياً فذكرته لأننا سنرى من بعد أثر هذا المزاج والنضج الانساني والثقافي متّضحا في اختياراته لما يترجم وفي كل سيرته الثقافية. سألني مرة كيف ستختار المواد التي تترجمها للمجلة، اعني "الثقافة الاجنبية"؟ قلت له: حيرة هي، الخراب الثقافي كبير ونحتاج الى الكثير لعمرانه. فقال: هذا ادراك جيد ولزم الصمت.

عند هذا اصل الى عالم نجيب المانع مترجماً، فأقول: ان المترجمين ليسوا في مستوى واحد من الاهمية، لا من حيث القدرة على الترجمة ، ولكن من حيث الكتاب الذي يترجمونه وجدواه، فهذا مترجم يقدم عملاً يؤثر في كتابة القصة المحلية وآخر يؤثر في نمط الكتابة الشعرية وثالث يحدث انعطافة في الرؤى النقدية واساليب كتابة النقد الادبي ورابع في الفكر والفن وهكذا .. عدا ذلك ، فهي حرفة نشكر القائمين بها ونمضي..

اهمية نجيب المانع غير الواضحة هو انه اول من ترجم كتاباً تحليلياً في الموسيقى. فكتابه المهم جداً لكل مثقف: بتهوفن وتطوره الروحي، لـ سوليفان، كتاب مهم كشف لنا طبيعة الجملة الموسيقية، وتميّزها عند بتهوفن وتركيب المنجز السمفوني. وانه يصف تطور واتساع روح الموسيقى الكبير . نحن لا نملك في الموسيقى الغربية كتاباً مهماً غير هذا إلا كتاب الاستاذ طارق حسون فريد مع الموسيقى العالمية ، وهو عرض عام جيد للمنجز الموسيقي العالمي، لكن ميزة كتاب "بيتهوفن" انه كتاب كامل عن موسيقي واحد، وانه مثلما يتحدث عن فنه وابعاد هذا الفن، يتحدث عن الفنان الكبير وتحولاته الروحية. الكتاب يكشف لنا عالم بيتهوفن الروحي وعظمة فنّه وروح العصر، فهو واحد من الكتب التي تُحدث ما يُسمى بـ " الهزّة المعرفية" او " الرجفة المعرفية " بترجمة المانع.

الكتاب صدر عن وزارة الاعلام سنة ١٩٧٥ ونجيب هو الذي اختار الكتاب وقدّم طلبا لطبعه، ادراكاً منه لأهمية الكتاب الثقافية، فالكتاب جعلنا على ابواب ثقافة موسيقية من نوع متقدم وحديث وذي جدوى حضارية، وهذا ما أشرت له اول الكلام عن نجيب. نجيب رأيه في الموسيقى رأي مؤلف الكتاب سوليفان: "مَن يفهم الموسيقى من الناس، لا بد من ان يتحرر بواسطتها من كل التعاسات التي يجرّرها الآخرون معهم، اينما حلوا..."

ماذا يعرف الأميركيون عن الثقافة العراقية ؟

علي عبد الأمير عجام

واشنطن

يبدو السؤال: "ماذا يعرف الاميركيون عن الثقافة العراقية ؟" مثيرا للالتباس عند مَن سألناهم وهم عراقيون واميركيون على حد سواء، فالاميركي من اصل عراقي يجيب بسؤال استنكاري، وهو على حق: وهل يعرف الاميركي اليوم كثيرا عن ثقافته كي يعرف عن ثقافة الآخرين؟ اما الاميركي فيعترف بان قصورا في فهم التركيبة الثقافية للعراق واكب الغزو وحتى سنوات لاحقة منه، حين بدأت برامج تعتمد قراءات ثقافية واجتماعية للعراق من اجل "فهم يجنب الاميركيين اخطاءً فادحة"، واخذت تلك البرامج تسمية "معارك كسب العقول والقلوب".

وحين تسأل: وماذا عن الوجود العراقي الذي بدأ يتعاظم في الولايات المتحدة ما بعد عام ١٩٩١ مع لجوء عشرات الآلاف من العراقيين وبعضهم مثقفون وفنانون وكتاب واكاديميون، وما دوره في التعريف بثقافة بلاده؟ يتولى الناقد والاكاديمي حسن ناظم الاجابة بقوله: "الوجود العراقي جديد على اميركا، وعقدان او اكثر لا يمكن لهما ان يخلقا تكوينا اجتماعيا مؤثرا على المستويين الانساني والثقافي وهو ما انجزته ثقافات مهاجرة عبر وجودها لعقود طويلة".

وفي ما يخص التركيبة الذاتية للتكوين الثقافي العراقي يرى صاحب كتاب "النصّ والحياة" ان "العراقي اقرب الى الفردية، وابعد عن العمل المنظم وهو ما يحتاجه التأثير الثقافي، وعلى الرغم من وجود اكاديميين ناجحين في مؤسسات اميركية وكتّاب وأدباء وفنانين قبل عام ٢٠٠٣ إلا انهم لم يكونوا مؤثرين اما لكونهم غير معنيين بالعمل العام، او لأنهم كانوا خرجوا من بلادهم بتجارب مريرة عملوا على تدريب انفسهم نسيانها".

وفي ما يخص المفارقة التي تعنيها مبالغ اميركية طائلة صرفت في العراق على مشاريع اعادة الإعمار، لكنها لم تتضمن مثلا انشاء مركز وطني للفنون، او بناء وحدة انتاج للسينما، ولا حتى بناء مسارح او مراكز للنشر، يقول ناظم": هناك قراءتان لهذا الامر: الاولى قريبة من "نظرية المؤامرة" وترى ان الاميركيين عملوا على ايصال الاسلاميين الى السلطة، وبالتالي ان هذه المهمة لا تستوجب بناء مراكز ثقافية تنويرية، والثانية هي ان الاميركيين وبعد ان وجدوا ان الاسلاميين هم الاقوى في العراق، تجنبوا الاستثمار الثقافي التنويري كي لا يدخلوا في مواجهة مع مَن يريدون الاقتراب منهم والتحالف معهم اي الحاكمين من الاسلاميين".

وهذه القراءة تبدو مقاربة لما يقوله الاستاذ الزائر في جامعة ستانفورد الاميركية عباس كاظم، لجهة تغليبه ضعف المعرفة الاميركية بالثقافة العراقية على انه "ناتج من طبيعة النظام الذي تقوم عليه اميركا اليوم: النظام الذي يبدو اقرب الى "الطعام الجاهز" او "الفاست فوود"، فكل القيادات الاميركية وحتى وسائل الإعلام، وهي الوحيدة القادرة على التأثير في الرأي العام، اثناء انشغالها بالعراق لم تكن بحاجة الى المعرفة بقدر حاجتها الى "الايجاز" او "البريفنغ" حتى في اعقد القضايا واكثرها حرجا لاميركا والعراق على حد سواء". ويضيف الاكاديمي الاميركي من اصل عراقي: "لا تجد اهتماما لافتا بعرض فني، او كتاب أدبي و فكري عراقي حتى لو كان يخاطب الاميركيين بلغتهم إلا فيما ندر، ذلك ان هذا يندرج في باب المعرفة وهي هنا لا تنسجم مع نظام الايجاز السريع الذي تنتظم فيه القوى المؤثرة في المجتمع الاميركي".

مسؤولون اميركيون يقرّون بتقصير في فهم ثقافة بلاد الرافدين، واكب توجههم نحو غزوها، ويرون بالذات من عملوا في برنامج متابعة الآثار العراقية المنهوبة، انهم سعوا الى التخفيف من كارثة "التقصير في الفهم الثقافي" وتحديدا ما يخص نهب الآثار العراقية وتدمير المتحف العراق تحت سمع القوات الاميركية ونظرها، ويعتبرون ان مهمة تقصي الآثار العراقية اكان في بلادهم او خارجها، ومهمة العناية بها في داخل العراق، كانت جزءا من برنامج ثقافي جاء تعويضا عن "غياب معرفة ببلاد ضمت كنوزا حضارية تهم البشرية جمعاء". رسميا ايضا ولكن من الجانب العراقي، هناك المركز الثقافي العراقي بالعاصمة الاميركية واشنطن، الذي استغرق التحضير له نحو سنتين، ويضم نماذج طبق الأصل لتحف قديمة وعريقة وهو مفتوح مجانا للجمهور، وتقف فيه التماثيل السومرية إلى جانب القطع الفنية العراقية المعاصرة، وعنه يقول السفير العراقي لدى الولايات المتحدة سمير الصميدعي: "سيساعد المركز في تغيير التصورات الأميركية عن العراق من مجرد كونه بلدا غارقا في العنف إلى دولة تضرب بجذورها في أعماق حضارة عريقة".

ويضيف الصميدعي وهو صاحب تجارب في الشعر والتشكيل: أن "العراق كان يعد مركز الابتكار والإبداع في الشرق الأوسط ، بل إنه كان ذات يوم مركز الابتكار والإبداع في العالم قاطبة، ونحن نريد أن يعرف الناس ذلك". من جهته يرى مساعد وزيرة الخارجية الأميركية لشؤون الشرق الأدنى جيفري فيلتمان: "المركز الثقافي سوف يعزز فهم الأميركيين للعراق فهو يوفر حلقة وصل مهمة من شأنها أن تقدم المعلومات الأساسية والتعليم للأميركيين الذين يرغبون في معرفة المزيد حول العراق وعن المواقع التراثية والثقافية والتاريخية فيه."

العناية بالآثار وتعقّب سُراقها جاء اعترافاً أميركياً متأخراً بقيمة الثقافة العراقية

لكن الامر ليس بهذه البساطة في نسختيها العراقية والاميركية، ويظل ابعد ايضا من نشر اكثر من كتاب شعري او روائي لكتّاب وأدباء عراقيين وليس في عروض موسيقية ينشط في تقديمها فنانون من بلاد منير بشير عرفوا المجتمع الاميركي بعد ان عاشوا فيه مطولا، انه "السيستم" الاميركي في معرفة الآخر، وهو "نظام" يبدو اقرب الى توصيف الاستاذ الزائر في جامعة ستانفورد، عباس كاظم، "نظام لا يستثمر بمعرفة الآخر، ولا بحوار عميق معه، انه اقرب الى دبلوماسية حاملة الطائرات او هو كما عبّر عنه وزير الدفاع الاميركي الراحل روبرت ماكنمارا حين قال: "هُزمنا في فيتنام لأننا لم نعرف شيئا عن تلك البلاد واهلها"، فثمة مرات عدة كنت اكتب فيها بحوثا معمقة عن العراق إلا انها كانت تعاد الي مع ملاحظة: اختصرها الى اربع صفحات بالكثير.. تلك الصفحات كانت على الأغلب تتحول ايجازا للمعنيين لا يستغرق منهم سوى حديث من دقيقتين او ثلاث".

الثقافة ونساء نوبل وكرامة الجوائز

لطفية الدليمي

١-توكل كرمان وبعض المثقفين والجائزة

لن اتحدث عن مدى استحقاق السيدات الثلاث لجائزة نوبل للسلام ، فهن جديرات بها مع يقيني بوجود نساء عراقيات جديرات بالفوز بجوائز عالمية لخدماتهن الجليلة والشجاعة للسلام وقضايا المرأة لكنني سأتحدث عن الجوائز حين تكشف عن حقيقة البشر وادعاءات البعض الدفاع عن القيم الانسانية والوطن زيفا وتبجحا من دون اداء حقيقي على ارض الواقع ، مثلما تكشف الجوائز عن نزاهة مواقف إنسانية للبعض الآخر ، فالجوائز كمثل النار بها تمتحن معادن النفوس فتكشف عن المعدن النفيس والمعدن الخسيس ، وهاهي اليمنية (توكل كرمان) الفائزة بثلث جائزة نوبل للسلام تتبرع بقيمة الجائزة للشعب اليمني وتتعهد كرمان في كلمة القتها في ساحة التغيير بصنعاء في مهرجان احتفالي لمناسبة فوزها بالجائزة ، انها ستضع قيمة الجائزة في خزينة الدولة بعد رحيل الرئيس علي عبدالله صالح ونظامه.

وقالت : (أقول لكم أن جائزة نوبل للسلام مُنحت للشعب اليمني العظيم وأن قيمة الجائزة هي لأبناء الشعب اليمني العظيم وأول الأموال التي ستعاد إلى الخزينة العامة هي جائزة نوبل للسلام .) أي درس تقدمه الانوثة الانسانية امام زيف رجولة بعض الرجال ؟!

كم هو الفارق بين موقف المثقف الكبير المبشر بالقيم الحضارية والمحسوب على العلمانية المتنوّرة وبين موقف الصحفية الناشطة توكل كرمان ؟ هذا إذا علمنا ان توكل شابة في الثانية والثلاثين من عمرها وبوسعها ان تنعم بمردود الجائزة في حياتها المديدة ، بينما شيوخ الادب والشعر والنقد وهم في سنوات أفول العمر ممن نالوا جوائز الحكام العرب يقبضون على المال بالنواجذ والمخالب حتى لكأنهم سيخلدون أبد الدهر .

أما كان بوسع كتّاب كبار كالدكتور جابر عصفور ان يعيد جائزة القذافي للشعب الليبي ، او يتبرع كتّاب آخرون بجائزة مبارك لضحايا العنف في ميدان التحرير ؟ اما كان بوسع شاعر كبير كسعدي يوسف ان يتبرع بقيمة احدى جوائزه الكثيرة لأيتام العراق وارامل العراق وهو من يدّعي انه الشيوعي الاخير والوطني الوحيد ؟ لا عجب أنه لا يقدم على موقف انساني يغيث ايتاما ومرضى وارامل من اهله ، لانه حتى اللحظة يواصل شتم العراقيين بلا استثناء ويصفهم بالقمامة والخونة ليبقى هو الشريف الاخير في عالمنا العجائبي و يمارس الوطنية الافتراضية ويزايد على العراقيين في محنتهم من دون ان يكلف نفسه زيارة واحدة للعراق ليشهد اوضاع العراقيين ويشارك في اغاثتهم والعمل من اجل رفع الحيف عنهم كما يفعل مثقفون عراقيون وسط المحنة والتهديد بالموت! وها هي السيدة اليمنية الحقوقية المكافحة من اجل السلام والحقوق الانسانية (توكل كرمان) تعيد الاعتبار لزمننا الخرب بموقفها النبيل الذي كان ليتشرف به اعظم الأشخاص من ذوي الرجولة في اي مكان من هذا الكوكب لتثبت ان بعض النساء الباسلات يتفوقن على كثيرين من مدّعي الوطنية المثقفين وغيرهم من رجال التهريج الاعلامي ويسهمن في صنع السلام من دون مزايدات على قيمهن واوطانهن .

النساء والثقافة وصنع السلام ليما غبوي

كيف تشيع النساء ثقافة السلام ؟ هل ثمة وسيلة لتعليم النساء كيف يصنعن السلام الاجتماعي؟ وهل تقوم المؤسسات الثقافية بدورها في تدريب النساء على ثقافة السلام ؟ وهل بوسع النساء وحدهن ان يوقفن مدّ التقاتل والكراهية وانقاذ المجتمع من الأحقاد والعنف وهدر الدماء؟

لقد اثبتت تجربة (ليما غبوي) احدى النساء الثلاث الفائزات بنوبل للسلام ان بوسع النساء صنع معجزة السلام اذا ما تضافرت جهودهن من دون الالتفات للمكاسب السياسية والكراسي والنفوذ والارباح وان بوسع النساء اجتراح الاعاجيب في بلاد اعتادت حروب الرجال وعنفهم طوال عقود.. إنها تجربة فريدة لإحدى الناشطات العالميات من اجل السلام بجهدها الصبور المثابر الذي استمر سنوات لإيقاف الحرب الاهلية في ليبيريا..

لقد قادت غبوي جيش السلام من نساء القمصان البيض ، فانتصرن على أمراء الحرب والميليشيات المسلحة بإصرارهن على مواصلة التصدي والثبات بوجه صانعي الحروب وتجار الدم والسلاح و وتطلّب الأمر من غبوي نحو ثلاث سنوات لإقناع المجتمع بحركة النساء السلمية من اجل مستقبل الجميع وقالت للناس: (كفانا صمتا ، لقد تحملنا الذل والاغتصاب واليتم والترمل والخوف والحرمان من الخدمات وابسط الحقوق وعلينا الان ان نقول كلمتنا للرجال المهيمنين على ثروات البلاد و مصائر الناس.)

وغبوي امراة وأم لستة اولاد وتدير شبكة (النساء من اجل السلام) وقد قدمت درسا لمنظمات النساء في العالم بعون من الطبقات المثقفة وبعض العاملين والعاملات في الاعلام والصحافة والادب في بلادها ، فليس بوسع منظمة نسائية كبيرة مهما كانت قوتها ان تنجح من دون سند من حملة تثقيف واسعة عبر الصحافة ورجال الثقافة المؤثرين ونسائها.

تروي ليما غبوي في مذكراتها انها اسست جيشا مسالما من النساء يرتدي الزي الابيض وينتشر في جهات العاصمة ومدن ليبيريا كلها ليواجه اجتماعات المسلحين وقادة البلاد المنتفعين من استمرار الصراع ، جيش ليما غبوي الابيض كان يضع الخطط والافكار ويطبّق ما هو ممكن ومتاح بالتعاون مع مثقفات ومثقفين ليبيريين كانوا يساندون الحركة بأفكارهم ووقوفهم مع جيش النساء ذوات القمصان البيض بعد ان يئسوا من تفهم الساسة لمطالبهم ، وأوجدِ التعاون بين تجمعات المثقفين والنساء طرقاً سلمية واخلاقية شجاعة لإيصال اصوات نصف المجتمع والمطالبة بعودة الامن والسلام للبلاد المضطربة .

عملت ليما غبوي مع جيشها الابيض منذ ١٩٩٧ عندما اعادت الحكومة البلاد الى دوامة التقاتل والعنف، فجمعت غبوي آلاف النساء من مختلف الأعراق والاديان والقوميات ليقفن في الساحات العامة ويتحدين الشمس والمطر واصوات القذائف والتفجيرات واتبعن مختلف الوسائل لتحقيق اهدافهن.. وفي سنة ٢٠٠٢ نفذت نساء ليبيريا من ذوات القمصان البيض فكرة تبدو جريئة جدا لإحلال السلام فقد نفذن اضرابا عاما عن ممارسة الجنس مع رجالهن واعلنت النساء انهن سيواصلن اضراب الانوثة هذا حتى انتهاء الحرب الاهلية وكان شرطهن لانهاء الاضراب ان يعلن الرجال عن وقف فوري لاطلاق النار واجراء حوار بين الحكومة والمتمردين ونشر قوات للفصل بين المتصارعين.. وبعد عام من الاضراب النسوي نجح جيش النساء الابيض بقيادة غبوي بانتزاع وعد من الرئيس تايلور بحضور مباحثات السلام التي جرت في أكرا عاصمة غانا.

غير ان الامور لم تمضِ كما تمنت النساء إذ بدا ان الفشل سيكوّن مصير المباحثات فقامت غبوي ومائتان من نسائها بمحاصرة موقع الاجتماع و اغلاق طريق الخروج من قاعة الاجتماعات لمنع الفصائل المتحاربة من المغادرة وارغامهم للعودة للقاعة وعقد الصلح.. وجوبهن حينها بعنف الشرطة وقيام أحد رؤساء الاحزاب بضرب غبوي والاخريات لكنهن صمدن ليشهدن ولادة اتفاقية السلام .

لقد اقترحتُ- منذ اربع سنوات- في مقالة لي ان تخرج النساء في جميع جهات العراق - الى الشوارع حاملات مع اطفالهن - رايات السلام والزهور واقترحت ان ينذرن الرجال بالامتناع عنهم ليقفوا الى جوارهن في يوم السلام ويطالبن الساسة بالتخلي عن خلافاتهم الشخصية من أجل مصلحة الوطن ، فهل بوسع النساء عندنا القيام باضرابات مماثلة ليساندهن الرجال على إرغام القوى المتصارعة للالتفات الى مطالب الشعب وحقوقه المهدورة دونما تمييز طائفي او عرقي او قومي أو حزبي ؟

لدينا في العراق آلاف السيدات المثقفات ممن يملكن الشجاعة والجرأة التي تؤهلهن لقيادة جيش السلام النسوي وتقف في مقدمتهن السيدة هناء ادور رئيسة منظمة الامل وهناك الكثيرات غيرها - بوسعهن توحيد جهودهن والخروج بعمل منظم ومطالبة الساسة بإيلاء مسألة الحقوق والخدمات الاهتمام الاكبر وعدم تخدير الناس وابتزازهم بوعود زائفة عن الرفاه الموعود بينما تعيش نسبة كبيرة من العراقيين تحت خط الفقر ، وتقع على المؤسسات الثقافية مهمة اسناد جيش السلام النسائي لتحقيق مطالب الشعب وتحشيد جهود النساء في انحاء العراق من دون التقوقع في تنظيمات فئوية او مطلبية تبدد الطاقات والجهود.. فهل سنشهد حشود الشابات والنساء القادرات في جيش ابيض يعلن وقوفه بوجه الخلل ولا مبالاة الساسة وهم يرون الهاوية التي تنتظر العراق والعراقيين أم تراهم لا يرون شيئا وتحجب عنهم رفاهيتهم والمخصصات المليونية كل رؤية ؟ وهل سنرى مثقفين ومثقفات ومؤسسات ثقافية تسند جيش النساء الابيض- برغم علمنا بأن مؤسسة المدى كانت وستظل السبّاقة في دعم مطالبات النساء والشباب بالحقوق وحرية التعبير والخدمات الاساسية ؟ نتمنى قيام الجهات الثقافية بالعمل الميداني لتثقيف ملايين النساء في القرى والبلدات النائية بحقوقهن الاساسية.. ويتوجب الآن وقبل اي وقت آخر على الصحافة ان تكون شريكا اساسيا في دعم ومساندة ملايين النساء العراقيات اللائي تستحق كل واحدة منهن جائزة الشجاعة والصمود-

كرمان

غبوي

منطقة محررة

نجم والي

القذافي لن يكون آخر الطغاة

الديكتاتور صاحب الوجه الكريه ، بكل آثار عملية التجميل الفاشلة والواضحة عليه، إنتهى الأمر به هو الآخر للإختفاء في المدينة التي وُلد فيها، سيرت، مثل حيوان مذعور يلجأ إلى جحره هرباً من مطارديه، أية مفارقة. قبله تصرّف مجرم آخر من قامته، إن لم ينافسه بكبر قائمة ضحاياه، بالشكل نفسه، صدام حسين لجأ هو الآخر إلى مسقط رأسه، إلى مدينة تكريت، ولأن الإثنين تسابقا بالتعلم من بعض، أخفى القذافي نفسه مثل جُرذ على طريقة زميله صدام، صدام حسين إنتهى إلى حفرة صغيرة تحت الأرض، القذافي إنتهى إلى أنبوبة للمجاري، ليس ذلك وحسب، عندما ألقي القبض على صدام كان يحتضن حقيبة حوت مئات الآلاف من الدولارات، القذافي مسك لحظة القبض عليه مسدساً من الذهب! على أية حال على القذافي أن يحسد صدام حسين، لأنه وقع في أيدي جنود المارينز الذين عاملوه مثل أسير حرب، وليس كما حدث له عندما وقع في أيدي المتمردين، في حينه لم ينفعه بشيء، لا قوله لسجانه الذي أخرجه من بالوعة المجاري، أنه مثل أبيه، وأنه لم يفعل له شخصياً ما يستدعي معاملته بالطريقة "المذلة" تلك، ولا طلبه الرحمة وتركه على قيد الحياة، كأن القذافي عرف مصيره مقدماً، كلنا رأينا الصور الأولى التي بثتها قنوات التلفزيون، صور جثة القذافي تُسحل في الشوارع، لم يكتف سجانوه بإطلاق النار عليه في رأسه، بل سحلوه مثل فطيسة، أعرَف أن من الأفضل كان الإبقاء عليه حياً، تقديمه للمحكمة، ولكن من أجل أن يحدث ذلك، لابد أن يكون من يلقي القبض عليه، شخصاً لم يعان من بطشه شخصياً، ألا يكون أحد ضحاياه، أو ألا يكون أحد الذين تربوا على يديه، ٤٢ عاماً من البطش والإستبداد، من السجن والإذلال، ٤٢ عاماً كان على الليبيين (وعلى العالم) أن يروا الديكتاتور الليبي وهو يتبختر أمامهم مثل الطاووس، الليبيون وفي الحالة هذه مثلهم مثل العراقيين، كان عليهم أن يختاروا مصيرهم بين أن يكونوا مسجونين أو مدفونين أو منفيين، وفي كل ذلك لم يفكر القذافي، أنه سينال العقاب ذات يوم على أيدي ضحاياه، حتى بعد أن تخلى أصدقاؤه الغربيون عنه، من ساركوزي وبرسلكوني إلى أوباما، ظن أنه سيظل جالساً على العرش، يملك في يده الصولجان، لم يظن أنه سيختفي بسهولة من المشهد العام، مثلما إختفى زملاء له من قبل وآخرون مثل الأسد وصالح في الطريق، على العكس، فلأنه سجل تاريخاً فريداً في سيرة الطغاة الذين سبقوه، ولأنه كان أول اسم تصدّر قائمة "المارقين" المطلوبين دولياً، في الوقت الذي كان فيه أمير الظلام "اسامة بن لادن" ما يزال يصطاف على شواطئ الريفيرا ويلعب القمار في موناكو، ظن أنه سيظل قائداً أبدياً أو ملك الملوك في أفريقيا (كما أطلق على نفسه) والعالم إلى الأبد! كيف لا يفكر بذلك، وطوال كل سنوات حكمه تحوّل إلى قبلة قصدها قطيع لا يُحصى من المثقفين "الردّاحين" (إن لم يتحول إلى خزينة لمنح الرشوات)، عشرات المؤتمرات نظمت في ليبيا عن كتب القذافي، من كتابه الأخضر إلى مجموعته القصصية الأخيرة "دولة الحقراء"، قائمة المديح التي حصلت عليها الكتب هذه من مثقفي الأمة "الأشاوس ومثقفاتها "الماجدات"، طويلة لا يسعها عمود، بعضها تحدث عن البعد الفلسفي فيها، فيما اشاد الآخر بتركيزها "على نقد الحضارة الحالية"، (كما كتبت المصرية ميرال الطحاوي في دراستها عن "أوجه اليوتوبيا" في قصص "دولة الحقراء") كل الكتابات تلك هي في الحقيقة كذب وهراء وفساد وإفلاس لثقافة تنفّست هواءً ملوثاً مثل هواء القذافي وغيره من حثالة الطغاة. لا أدري أي كتّاب وكاتبات، مثقفين ومثقفات سيكتبون عنه في المرة هذه ؟ هل سينعون إنجازات "الإرهاب" الأخضر لدولة الحقراء، مثلما فعل أحد غلمانه، بعثي مخضرم في العراق، أم أنهم سيصمتون مؤقتاً بإنتظار ولادة نمط جديد من الطغاة ؟ لا أدري، كل ما أدريه، هو أن النهاية التي إنتهى إليها القذافي هي النهاية المحتومة لكل ديكتاتور، صدام حسين لم يكن الأول ولن يكون معمر القذافي الأخير!